

مسائل الإيمان من خلال أضواء البيان



د . فواز بن عبد العزيز السلمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي فطر الناس على الدين القويم شريعة محمد ﷺ وملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، والحمد لله الذي سبحت بحمده جميع المخلوقات المتعالي الذي لا شريك له ولا شبيه له في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ختم الله به الرسل وأتم به الدين وأكمّله، فلم يزل في هداية الخلق جاهداً بنور القرآن وما أوتيه من الحكمة والبيان حتى طلعت شمس الإيمان وأدبر ليل الكفر والبهتان ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرو الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، ومما علم من الدين بالضرورة وتواترت عليه نصوص الكتاب والسنة واعتقدته كل نفس مؤمنة مطمئنة أن الله تبارك وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأنزل عليه القرآن وكلفه بالتبليغ والبيان على أكمل الوجوه وأتمها ففعل ﷺ فنهل صحبه من معين العقيدة الصافية فكان إيمان الواحد منهم كالجبال الراسيات لا يتضعضع أمام ريب الزمان .

إذن، فتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول أهم ركيزة في الإسلام وهو الإيمان بالله عز وجل الذي هو جوهر الدين وأساسه الذي ينبني عليه وبدون تحقيقه لا يكون المسلم ناجياً من عذاب الله عز وجل؛ لذلك كله وقع اختياري على موضوع (مسائل الإيمان من خلال أضواء البيان للعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله) راجياً من الله عز وجل أن يكون ذلك وسيلة إلى مرضاته جل شأنه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

* * *

تهييد

أ . التعريف بكتاب أضواء البيان :

هو كتاب ثمين وفريد من نوعه جمع فيه مؤلفه رحمه الله تعالى ما تيسر له من إيضاح القرآن بالقرآن مع ما تطرق له من فقه ونحو وغير ذلك من شتى فنون المعرفة فأصبح بذلك موسوعة علمية رائعة لما حواه هذا الكتاب من عيون المسائل العلمية من عقائد سلفية ومباحث فقهية وتحقيقات لغوية وترجيحات خلافية ودعوات إصلاحية وهو من أحسن التفاسير القرآنية مما جعله عمدة الدارسين وعدة الباحثين من علماء ومفكرين فكتبت فيه البحوث العلمية والحلقات الإذاعية والرسائل

الجامعية المفيدة وأن هذه الرسالة التي بين أيدينا نموذج من تلك الرسائل التي تتعلق بهذا الكتاب الذي أثنى عليه جمع غفير من العلماء .

منهم الدكتور أحمد نصيف الجنابي الذي أشاد به وقال: ذهب جمهور العلماء إلى أن أفضل التفاسير هو أن يفسر القرآن بالقرآن وأحسن ما ألف في هذا الاتجاه كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله^(١).

وكان منهجه في هذا الكتاب المبارك حينما يعرض لمبحث فقهي مختلف فيه فيستوفي فيه أقوال العلماء ويرجح ما يظهر له رجحانه بمقتضى الدليل عقلاً كان أو نقلاً^(٢).

ب. التعريف بمؤلف كتاب أضواء البيان:

ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى:

هو العلامة المحقق والحافظ المدقق فريد زمانه ووحيد أقرانه جمع الله له أسباب التفوق من ذكاء وبصيرة متميزة وقريحة نادرة وفطنة قوية وفهم ثاقب وهمة عالية في تفسير القرآن وعلومه وكشف الله له عن أسراره كما أن له حفظاً وافراً في الحديث واطلاعاً واسعاً في معرفة متونه وأسانيده وأحوال رجاله، له حافظة واعية وقوة بيان ودقة في التعبير، يعرض مذاهب الأئمة بأدلتها بأمانة ودقة يرجح بالدليل، همه الوحيد نشر معارف كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وتعميم تعاليمهما القويمية على منهج أهل السنة ويعتمد مذهب السلف الصالح في الصفات والمعتقدات مع عدم التعصب للمذاهب حاملاً راية الدعوة بالرجوع إلى الكتاب والسنة قائلاً إن الإعراض عن الكتاب والسنة اكتفاء بالمذاهب الأربعة من

(١) علوم القرآن الكريم ، حضارة العراق نقلاً عن الخليل النحوي "الأضواء" المجلد ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

(٢) الأضواء المجلد ٩ ص ٤٩٠ دار الفكر

أعظم المناكر وأشنعها^(١) .

نسبه رحمه الله تعالى : هو محمد الأمين بن محمد المختار بن أحمد نوح اليعقوبي، الجكني، ولد رحمه الله سنة ١٣٢٥ هـ في بلدة تسمى "تنبه" من ولاية لعصابة في بلاد شنقيط .

وتربى في بيت أخواله حيث توفي والده وهو صغير^(٢)، وقد حصل في بيت أخواله حصيلة مكثفة من العلوم الأساسية الشرعية والأدبية والتاريخية حصل على هذا كله ولم يتجاوز عمره ستة عشر سنة وقد تناول العلوم بالدقة والاستيعاب ثم ارتحل في طلب العلم متسلحاً بأمر منها:

١- علو الهمة والشوق إلى المعالي .

٢- الذكاء الخارق .

٣- التفرغ للتحصيل

٤- التشجيع الذي حصل عليه من طرف أهله وذويه .

٥- الجو التعليمي والبيئة التعليمية في ذلك العصر .

قال الشيخ عطية: إنه أخبره بأنه أخذ كل العلوم من مشايخ قومه، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم .

- الشيخ العلامة أحمد بن عمر .

- والعلامة المتبحر أحمد فال بن أدو .

ولما تبهر في العلوم في بلاده وأشبع نهمه وأصبح من كبار العلماء ارتحل إلى المشرق كما يفعل العلماء بقصد الحج أولاً والازدياد من العلوم ثانياً وكانت رحلته

(١) عقود الجمان من أضواء البيان ص ٤-١٦ أنظر ترجمته في الرحلة إلى بيت الله الحرام ص ١٣ ، مج ٩

أضواء البيان ص ٤٩١

(٢) الرحلة إلى بيت الله الحرام ص ١٤

تلك مباركة ألف فيها كتابه المشهور بـ: "الرحلة إلى بيت الله الحرام" ضمنها مباحث جليلة وفوائد عظيمة وكان قدومه الحجاز سنة ١٣٦٧هـ، ورغب في الجوار بالحرمين الشريفين وكان رحمه الله يقول: ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسوله ﷺ وتم له التدريس فيه بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود^(١).

ونال تقدير واحترام جميع من لقيه من الأمراء وأهل العلم في الحجاز وفي المملكة العربية السعودية بوجه عام .

وكان منهجه رحمه الله في تدريسه بالمسجد النبوي في تفسير القرآن الكريم هو أنه يقوم أولاً ببيان المفردات ثم الإعراب والتصريف ثم البلاغة مع إيراد الشهود على ما يريد ثم يأتي إلى معنى الآية، فيستقصي الكلام فيه باستنتاج الحكم وبيان الأقوال والترجيح لما يظهر له ويدعم ذلك بالأدلة الشرعية ويبين ما في القرآن من عام وخاص ومطلق ومقيد وناسخ ومنسوخ وأسباب النزول وغير ذلك بأسلوب علمي رائع منقطع النظير في زمانه .

قال الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ: فيما نقل عنه الشيخ عطية محمد سالم أنه قال: جرى الله عنا الشيخ محمد الأمين خيراً، على بيانه في العقيدة فالجاهل عرف العقيدة والعامي عرف الطريقة والأسلوب .

وقد كان للشيخ رحمه الله اليد الطولى والمجهود الأكبر في نشر العلوم والمعرفة فلم يدخر وسعاً في تعليم الناس ولم يتوان في توجيههم سواء في دروسه أو أحاديثه أو محاضراته مع الطلاب أو المدرسين فكان رحمه الله كالأب الرحيم والداعية الناصح الأمين^(٢).

(١) الأضواء المجلد ٩ ص ٤٩٠

(٢) أضواء البيان المجلد ٩ ، ٤٩٥

وكان له العديد من المحاضرات والمحادثات سجلت كلها في أشرطة محفوظة وكان رحمه الله أيضا عضواً في هيئة كبار العلماء وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي وكان بحق أهلاً لذلك كله توفي يوم الخميس ١٧/١٢/١٣٩٣ هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته إنه ولي ذلك والقادر عليه^(١).

مؤلفات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: وهو أهمها على الإطلاق وهو مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه طبع منه سبعة أجزاء وقد وصل فيه رحمه الله إلى نهاية قد سمع عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

- نظم في أنساب العرب ألفه قبل البلوغ ودفنه بعد ذلك لأنه لم يخلص فيه النية يقول في أوله^(٣):

سميته بخالصة الجماني في ذكر أنساب بني عدناني

- رجز من عدة آلاف: في فروع مذهب الإمام مالك يختص بالعقود في البيوع والرهون قال في أوله:

الحمد لله الذي قد بنا لنا لأن نميز البيع عن لبس الربا
- ألفية في المنطق: يقول فيها:

حمداً لمن أظهر للعقول حقائق المنقول والمعقول

- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.

- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

(١) عقود الجمان من أضواء البيان ص ٢٢

(٢) (المجادلة: ٢٢)

(٣) الرحلة إلى بيت الله الحرام ص ٣١-٣٢

- مذكرة الأصول على روضة الناظر: جمع فيها أصول المالكية والشافعية .
- آداب البحث والمناظرة .
- وله العديد من المحاضرات ذات المواضيع المستقلة مطبوعة كلها .
- ١- محاضرة في آيات الصفات: أوضح فيها تحقيق إثبات صفات الله عز وجل .
- ٢- محاضرة في حكمة التشريع عالج فيها العديد من حكمة التشريع في كثير من أحكامه .
- ٣- محاضرة في المثل العليا: بين فيها المثالية العليا في العقيدة والتشريع والأخلاق .
- ٤- محاضرة في المصالح المرسله: بين فيها ضابط استعمالها بين الإفراط والتفريط .
- ٥- محاضرة حول شبهة الرقيق: رفع اللبس عن أدعاء استرقاق الإسلام للأحرار .
- ٦- محاضرة على الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) ألقاها بحضرة الملك محمد الخامس عند زيارته للمدينة النبوية .
- وفي الجملة كان خير قدوة وأحسنها في جميع مجالات الحياة فكان العالم العامل - ولا أزكي على الله أحداً - وقد خلف ولدين وبناتاً جعلهما الله خير خلف لخير سلف وأسأل الله أن يسكنه فسيح جناته ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢)، وأن ينفعنا بعلمه ويسلك بنا طريق العلم والعمل إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وبارك على عبده ورسوله محمد ﷺ .

(١) (المائدة: ٣)

(٢) (النساء: ٦٩)

الفصل الأول تعريف الإيمان

تعريف الإيمان :

أ . الإيمان لغة : التصديق، واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان^(١) .

ب . مذهب أهل السنة بأجمعهم إلا النزر القليل أن الإيمان الذي يستحق به العبد الولاية من المؤمنين هو جامع لثلاثة أركان :

١ . التصديق بالقلب .

٢ . النطق باللسان

٣ . العمل بالأركان أي الجوارح .

وحكى الإجماع على هذا المذهب أئمة منهم الإمام أحمد والإمام الشافعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام وأجمعوا أيضاً على أنه يزيد وينقص^(٢)، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقال حماد ابن أبي سليمان وأبو حنيفة وأتباعه: إن الإيمان التصديق والإقرار. والمروي عن أبي حنيفة أنه التصديق بالقلب فقط .
والاختلاف بين أبي حنيفة وسائر الأئمة فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلاف صوري^(٣) .

وذهب جهم بن صفوان ومن تبعه إلى أن الإيمان هو أن تعرف الرب بالقلب والكفر هو الجهل بالرب، أي الإيمان شيء واحد هو المعرفة بالقلب وهذا مذهب فاسد في الإيمان كما قال أهل العلم لأنه يترتب عليه أن يكون فرعون وإبليس

(١) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ١م ص ٩٢

(٢) أضواء البيان ٧م ، ص ٢٠١

(٣) شرح العقيدة الطحاوية مج ٢ ص ٤٦٢

مؤمنين كاملي الإيمان لأنهما يعرفان الرب جل وعلا وهذا لا يشك أحد في بطلانه. وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه: "الإبانة عن أصول الديانة" إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهو الذي ذكره الأنصاري من أئمة الأشعرية قال: وذهب طائفة من أصحابنا إلى أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وأدلة أهل السنة على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص أكثر من أن تحصر، وذكر الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من الجامع الصحيح هذه الأدلة وبالغ في سرد الآيات والأحاديث الدالة على ذلك كقوله: باب الصلاة من الإيمان وقول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

ونقل اللالكائي إجماع السلف على مذهب أهل السنة وبالغ في نقل هذا الإجماع عن كل من يدور عليه من الصحابة والتابعين (٢).

وللإيمان أركان كما أن للإسلام أركان فأركان الإيمان ستة ذكرها الله في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (٣).

وذكر الركن السادس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤). كما ذكرت هذه الأركان في السنة أيضاً في حديث جبريل الطويل الذي فيه: (أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) متفق عليه (٥).

(١) (البقرة: ١٤٣)

(٢) عقود الإيمان ص ٨٥-٨٦

(٣) (البقرة: ١٧٧)

(٤) (القمر: ٤٩)

(٥) البخاري ٤٤٩٩ كتاب التفسير، مسلم ٩-١٠ كتاب الإيمان.

فإذا علم هذا - فإن علم هذا من الدين بالضرورة وقد تقرر أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان - فليعلم أن لهذه الأركان جانبان لا بد منهما: أولهما الاعتقاد وثانيهما العلم، وحتى يكون العبد مسلماً ومؤمناً فلا بد من عقد القلب على الإيمان بأن الله تعالى افترض على عباده هذه الأركان وأركان الإسلام فأوجب عليهم الإيمان بتوحيده بالشهادة له بإفراده بالألوهية والربوبية والإيمان بأنه أرسل عبده محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، والإيمان بأنه تعالى فرض على عباده أداء الصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام إن استطاع إلى ذلك سبيلاً كما في حديث جبريل المذكور سابقاً وفيه: (أخبرني عن الإسلام، فقال: الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه) متفق عليه .

وثانيهما: القيام بأركان الإسلام عملاً فلا بد من إعلان التوحيد والشهادة لله تعالى والشهادة لرسوله ﷺ قولاً وعملاً بالرسالة ويوضح ذلك شعيرة الإسلام المعلنة "الأذان" ولا بد من أداء الصلوات الخمس تطبيقاً وتأدية الزكاة فعلاً ولو قهراً والصيام وحج البيت مرة في العمر على المستطيع ومتى قام العبد بهذين الجانبين فقد قام بما يجب عليه ومتى أخل بجانب الاعتقاد فهو كافر بالإجماع ولو قام بالجانب العملي .

وإذا قام بجانب الاعتقاد ولم يعم بالعمل بالأركان، هل يكفر أو لا يكفر؟ ولا شك في كفره إذا امتنع من إعلان الشهادتين لأنهما ركن أساسي لباقي أركان الإسلام الأخرى^(١).

ومن العقائد التي لا بد من الإيمان بها اعتقاد تحريم ما حرمه الله ورسوله ﷺ،

(١) عقود الإيمان ص ٩٠

واعتقاد تحليل ما أحله الله ورسوله، فالأول كالخمر والزنا والثاني كاللبن والعسل وغير ذلك من الطيبات كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أأدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ: (نعم). قال: والله لا أزيد على ذلك شيئاً، رواه مسلم.

وقال الحافظ إن شعب الإيمان تتفرع عن ثلاث مسائل:

أ. أعمال القلب .

ب. أعمال اللسان

ج. أعمال البدن والجوارح .

فأما أعمال القلب فتشمل أربعاً وعشرين خصلة:

- الإيمان بالله:

ويشمل الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده وحدوث ما سواه والإيمان بالملائكة والكتب والرسل والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه السؤال في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراف والجنة والنار ومحبة الله والحب في الله والبغض في الله ومحبة النبي ﷺ وتعظيمه والصلاة عليه واتباع سنته والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والقدر والتوكل والرحمة والتواضع، ويدخل فيه توقيير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والعجب وترك الحسد والحقد وترك الغضب .

ومن شعب الإيمان ما يتعلق باللسان: ويشتمل على سبع خصال: التلطف بالتوحيد، وتلاوة القرآن وتعلم العلم، وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو .

ومن شعب الإيمان ما يتعلق بالبدن: ويشتمل على ثمان وثلاثين خصلة: وهي التطهير حساً وحكماً ويدخل فيه: اجتناب النجاسات وستر العورة والصلاة فرضاً ونفلاً، والزكاة وغيرها .

أما زيادة الإيمان ونقصانه فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١). في هذه الآية الكريمة التصريح بزيادة الإيمان وقد صرح الله تعالى بذلك في مواضع أخرى من القرآن كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢).

وتدل هذه الآيات بدلالة الالتزام على أن الإيمان ينقص أيضاً لأنه كلما يزيد ينقص^(٣). وجاء ذلك مصرحاً به في أحاديث الشفاعة (يخرج الله من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان) متفق عليه .

وفي كتاب أصول اعتقاد أهل السنة يروي اللالكائي بسند صحيح عن البخاري أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص^(٤).

(١) (الأنفال: ٢٠)

(٢) (التوبة: ١٢٤)

(٣) أضواء البيان المجلد ٢ ص ٥٠

(٤) عقود الإيمان ص ٨٧

الفصل الثاني توحيد الله عزوجل

أولاً: براهين التوحيد

قال الشيخ محمد الأمين أثناء كلامه على توحيد الله عزوجل: أن الله جل وعلا ذكر ستة براهين من براهين التوحيد^(١) وهذه البراهين دالة على عظمته وجلاله وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وحده .

وأول هذه البراهين خلقه السماوات والأرض المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)؛ لأن خلقه جل وعلا للسماوات والأرض من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، أي أن من قدر على خلق الأكبر قادر على خلق الأصغر .

البرهان الثاني: خلقه جل وعلا للناس المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٤)، فهو خلق الناس للمرة الأولى لأن من ابتدع خلقهم على غير مثال سابق قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى كما لا يخفى أن الاستدلال بهذا البرهان على البعث بعد الموت كثير في كتاب الله عز وجل .

البرهان الثالث: وهو إحياء الأرض بعد موتها مذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا

(١) أضواء البيان ٧م ص ٣٢٩

(٢) (الجاثية: ٣)

(٣) (غافر: ٥٧)

(٤) (الرؤم: ٢٠)

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١﴾، فإنه يكثُر الاستدلال به على البعث لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم لأن الجميع إحياء بعد موت، ومن الآيات الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (٢).

البرهان الرابع: وهو اختلاف الليل والنهار، المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٤).

البرهان الخامس: هو إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به وإنبات الرزق فيها المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضَبًّا﴾ (٦).

البرهان السادس: وهو تصريف الرياح المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا

(١) (الجمانية: ٥)

(٢) (الرُّوم: ٥٠)

(٣) (البقرة: ١٦٤)

(٤) (آل عمران: ١٩٠)

(٥) (الجمانية: ٥)

(٦) (عبس ٢٤ - ٢٨).

(٧) (الرُّوم: ٤٦)

(٨) (البقرة: ١٦٤)

الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴿١﴾، إلى غير ذلك من الآيات .

ثانياً: توحيد الربوبية والألوهية:

أ. توحيد الربوبية:

هو توحيد الله عز وجل في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام .

١- توحيد الله عز وجل في ربوبيته:

وهذا النوع جبلت عليه فطر العقلاء وحتى مشركي العرب حيث يقول تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣). يقول مقبده عفى الله عنه (٤): اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته التي لا يجوز صرفها لغيره وبين حقوق خلقه كحق النبي ﷺ في القرآن العظيم والسنة الصحيحة .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي لا يجوز إلا لله وحده لأن ذلك من خصائص الربوبية فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم له ﷺ، لأن أعظم أنواع

(١) (الحجر: ٢٢)

(٢) (الزُخْرَف: ٨٧)

(٣) (يونس: ٣١)

(٤) أضواء البيان مج ٧ ص ٦١٤

التوقير والتعظيم هو إتباعه والافتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا .

فخلق السماوات و الأرض وإنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق ذات البهجة التي لا يقدر على إنبات شجرها إلا الله، فهذا من خصائص ربوبية الله، لذا قال بعدها: ﴿أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ﴾ يقدر على ذلك؟ والجواب: لا؛ لأنه لا إله إلا الله وحده .

فهذه الأمور من بدء خلق الناس وإعادتهم يوم البعث ورزق الله للناس من السماء بإنزال المطر؛ ومن الأرض بإنبات النبات من خصائص ربوبيته ثم عجز جل وعلا كل من يدعي شيئاً من ذلك كله لغير الله فقال أمراً نبيه ﷺ أن يخاطبهم بصيغة التعجيز: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) وكون إجابة المضطرين، وكشف سوء عن المكرويين من خصائص الربوبية، كما أوضحه تعالى في هذه الآيات السابقة من سورة النمل جاء موضحاً في آيات آخر كقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

توحيد الألوهية أو العبودية:

وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله، وهي مركبة من نفي وإثبات فمعنى النفي منها خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه على السنة رسله عليهم

(١) (النمل: ٦٤)

(٢) (يونس: ١٠٧)

(٣) (الأنعام: ١٧)

الصلاة والسلام، وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأمهم، كقوله تعالى ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (١). فإخلاص العبادة له جل وعلا وحده هو الذي كان يفعله ﷺ ويأمر به قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٣) إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (٤).

واعلم أن الكفار في زمن النبي ﷺ كان يعلمون علماً يقينا أن ما ذكر من إجابة المطر وكشف السوء عن المكروب من خصائص النوع الأول من التوحيد وهو توحيد الربوبية، فإذا دهمتهم الكروب من إحاطة الأمواج بهم في البحر في وقت العواصف، فإنهم يخلصون الدعاء لله وحده لعلمهم أن من يكشف عنهم ذلك من خصائص الألوهية، فإذا نجاهم من الكرب رجعوا إلى الإشراف وقد بين الله جل وعلا ذلك في آيات من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٥)، (٦).

وقد تقدم في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ (٧)، أن سبب إسلام عكرمة بن أبي

(١) (ص: ٥)

(٢) (البينة: ٥)

(٣) (الزمر: ١١)

(٤) (الزمر: ١٤)

(٥) (يونس: ٢٢ - ٢٣)

(٦) أضواء البيان ٣ م ص ١٧٢ وما بعدها .

(٧) (الإسراء: ٦٧)

جهل رضي الله عنه، لما فتح النبي ﷺ مكة ذهب فاراً إلى بلاد الحبشة فركب في البحر متوجهاً إلى هناك فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه والله إن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره أيضاً، اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن، فأضعن يدي في يد رسول الله ﷺ فلا جدنه رؤوفاً رحيماً، فخرجوا من البحر فذهب إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه .

وقد تقدم أيضاً في سورة الإسراء، أن بعض المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالاً من هؤلاء الكفار المذكورين لأنهم في وقت الشدائد يلجؤون لغير الله طالبين منه ما يطلبه المؤمنون من الله، أما كفار قريش فلا يلجؤون في الشدائد إلى الله وحده .

وبما ذكر تعلم أن ما انتشر في أقطار الدنيا من الالتجاء في أوقات الكروب والشدائد إلى غير الله عز وجل، كما يفعلون ذلك قرب قبر النبي ﷺ وعند قبور من يعتقدون فيهم الصلاح زاعمين أن ذلك من دين الله ومحبة الرسول ﷺ وتعظيمه ومحبة الصالحين كله من أعظم الباطل وهو انتهاك لحرمة الله وحرمة رسوله ﷺ، لأن صرف الحقوق الخاصة بالخالق سواء كانت هذه الحقوق من خصائص الربوبية أو الألوهية فصرف شيء من ذلك إلى النبي ﷺ أو غيره ممن يعتقد فيهم الصلاح، مستوجب لسخط الله وسخط النبي ﷺ وسخط كل متبع له في الحق .

ومعلوم أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر بذلك هو ولا أحد من أصحابه، وهو ممنوع في شريعة كل الأنبياء والله جل وعلا يقول: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

(١) (آل عمران ٧٩-٨٠).

الفصل الثالث

في الأسماء والصفات والقواعد التي يقوم عليها الاعتقاد فيهما

النوع الثالث من أنواع التوحيد : توحيد الأسماء والصفات قال المصنف رحمه الله تعالى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾^(١)، وقوله تعالى : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢)، وغير ذلك من آيات الصفات أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً والله جل وعلا أوضح ذلك غاية الإيضاح ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين :

أ . أحدهما تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ب . الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿قُلْ أَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّكُمْ أُمُّ اللَّهِ﴾^(٣) . ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ فمن نفى عن الله وصفاً أثبتته لنفسه في كتابه العزيز أو أثبتته له رسوله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا سبحانه هذا بهتان عظيم . ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال ومن أثبت

(١) (الأعراف: ٥٤)

(٢) (الفتح: ١٠)

(٣) (البقرة: ١٤٠)

لله ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق فهو مؤمن سالم من ورطة التشبيه والتعطيل^(١) وسنين لك أن جميع الصفات على تقسيم المتكلمين لها جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها وهم في بعض ذلك يقرون بأن الخالق موصوف بها وأنه جاء في القرآن أيضاً وصف المخلوق بها ولكن وصف الخالق مناف لوصف المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق ويلزمهم ضرورة فيما أنكروا مثلما أقرؤا به لأن الكل من باب واحد لأن جميع صفات الله جل وعلا من باب واحد فالمتصف بها لا يشبهه شيء من الحوادث فمن ذلك الصفات السبع المعروفة بصفات المعاني عندهم وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، والآيات في ذلك كثيرة .

واعلم أن القدم والبقاء اللذين يصف بهما المتكلمون الله تعالى زاعمين أنه وصف بهما نفسه دون غيره في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٢)، فقد جاء في القرآن الكريم وصف الحادث بهما أيضاً فقال في وصف الحادث بالقدم ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٣) وقوله: ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾^(٥).

وأما الصفات الفعلية فإن وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذات الله لذات المخلوق فمن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق خلقه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٦)،

(١) أضواء البيان مج ٢ ص ٢٧٢

(٢) (الحديد: ٣)

(٣) (يس: ٣٩)

(٤) (الشعراء: ٧٦)

(٥) (يوسف: ٩٥)

(٦) (الذاريات: ٥٨)

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١)، وقال في وصف الحادث بذلك ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣)، ووصف نفسه بتعليم خلقه ووصف المخلوق بذلك وجمع المثاليين في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾^(٤).

وأما الصفات الجامعة كالعظم والكبر والعلو والملك والتكبر والجبروت فإنها يكثر أيضاً وصف الخالق والمخلوق بها في القرآن الكريم ومعلوم أن ما وصف به الخالق منها مناف لما وصف به المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق قال في وصف نفسه بالعلو والعظم والكبر جل وعلا: ﴿وَلَا يُثَوِّدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾^(٦)، وقال في وصف الحادث بالعظمة ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٨).

وآيات الاستواء بحسب ترتيب المصحف الشريف هي:

١- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾^(٩).

(١) (هود: ٦)

(٢) (النساء: ٨)

(٣) (البقرة: ٢٣٣)

(٤) (المائدة: ٤)

(٥) (البقرة: ٢٥٥)

(٦) (الرعد: ٩)

(٧) (الشعراء: ٦٣)

(٨) (التوبة: ١٢٩)

(٩) (الأعراف: ٥٤)

٢- قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

٣- قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (٢)، وغيرها من الآيات .

وقال جل وعلا في وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ (٣)، وقوله ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٥)، وقد علم مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك وأن للخالق جل وعلا استواء لائقاً بكماله وجلاله وللمخلوق أيضاً استواء مناسب لحاله وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة كما بين ذات الخالق والمخلوق .

واعلم أخيراً أنه غلط في باب الاستواء واليد وغيرها من الصفات خلق كثير فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث وقالوا يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجمالاً لأن اعتقاد ظاهره كفر لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه ما لا يليق به وأن النبي ﷺ الذي قيل له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٦) لم يبين

(١) (يونس: ٣)

(٢) (الرعد: ٢)

(٣) (الزخرف: ١٣)

(٤) (المؤمنون: ٢٨)

(٥) (هود: ٤٤)

(٦) (النحل: ٤٤)

حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يعتد به من العلماء على أنه ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال ولا يخفى أن هذا القول من أكبر الضلال وأعظم الافتراء على الله جل وعلا وعلى رسوله ﷺ .

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عقل أن كل وصف وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ فظاهره المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث فمجرد إضافة الصفة إليه جل وعلا يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق وبين شيء من صفات المخلوقين .

القواعد التي يقوم عليها الاعتقاد في الأسماء والصفات :

أولاً: أن الذات والصفات من باب واحد، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق .

ثانياً: أن جميع الصفات من باب واحد لأن الموصوف بها واحد ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاته فمن أثبت مثلاً أنه سميع بصير وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم لزمه مثل ذلك في جميع الصفات كالاستواء واليد ونحو ذلك من صفاته جل وعلا ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال من الأحوال .

ثالثاً: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق :

رابعاً: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً ونفيًا وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)،

(١) (الشورى: ١١)

والسلف الصالح رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك ولا كان يشكل عليهم .

فمن علم مثل هذا من كون السماوات والأرضين السبع في يده وجل وعلا أصغر من حبة خردل فإنه عالم بعظمته وجلاله لا يُسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات مخلوقاته ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على الكثير من المتأخرين .

وهذا الذي ذكرنا من تنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به والإيمان بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وهو معنى قول الإمام مالك رحمه الله تعالى: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة" ويروى هذا القول عن ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك ويروى عن أم سلمة رضي الله عنها والعلم عند الله .

تذييل: لو قال متنطع مثلاً بينوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء أو اليد ونحو ذلك لنعقلها قلنا له أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات فلا بد أن يقول: لا . فنقول له معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الشئ عليه هو كما أثنى على نفسه ونسأله الاستعانة في جميع الأحوال وحال حلول الإنسان في رمسه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢)، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) الله الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴿ (٣)، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

(١) (طه: ١١٠)

(٢) (الشورى: ١١)

(٣) (الإخلاص).

(٤) (النحل: ٧٤)

الفصل الرابع في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

أولاً: الإيمان بالملائكة:

يعد الإيمان بالملائكة ركناً من أركان الإيمان الستة ولأهميته وتأصله في الغيب قدم على الكتب والرسل في الآيات القرآنية التي سردت أركان الإيمان وكذلك قدم في حديث جبريل الشهير الذي قد تقدم ذكره في هذا البحث، والإيمان بالملائكة فرع عن الإيمان بالله عز وجل لأنهم عباده السفراء بينه وبين خلقه ولم يعلم عنهم شيء إلا بواسطة خبر الله وخبر رسوله ﷺ، فكان الإيمان بهم إيماناً بالغيب والإيمان بالملائكة معناه التصديق الجازم واليقين الذي لا يخالجه شك بأن لله ملائكة موجودين خلقهم الله تعالى وكلفهم بوظائف من العبادات والأعمال فمنهم من خلقه الله فأمره بالسجود فهو ساجد إلى يوم يبعثون ومنهم راعع إلى يوم القيامة فهم جند من جند الله من أكثر وأعظم المخلوقات، وقد دلت الأحاديث النبوية على عظمهم وكثرتهم من ذلك قوله ﷺ: (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أصبع إلا فيه ملك واضع جبهته ساجداً لله) (١)، فالملائكة رسل الله في خلقه تنزل بالأمر من عنده في أقطار الأرض وتصعد إليه بالأمر كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٢)، والحديث الذي فيه: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون عند صلاة الصبح والعصر فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم فيقول لهم: كيف

(١) رواه الترمذي وابن ماجه

(٢) (فاطر: ١٠)

تركتهم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون^(١)، أو كما قال ﷺ، فكل حركة في العالم العلوي والسفلي ناشئة وموكلة بالملائكة الموكلين بالسموات والأرض كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أُمْرًا﴾^(٢)، والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم وأعمالهم ومراتبهم بل لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً وتلويحاً وقد قيل أن من نوادر صحيح البخاري أن أطول كتاب فيه وأكثره أحاديث هو باب ذكر الملائكة .

ولا بد من الإيمان بالملائكة تفصيلاً وإجمالاً فيمن أجمل، فمن ذكره الله ورسوله ﷺ باسمه أو صفته فيجب الإيمان به بعينه كجبريل وميكائيل ومالك خازن جهنم وملك الموت وحملة العرش في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(٣)، ووجود الملائكة - فضلاً عن أن اعتقاده ركن الإيمان الثاني - هو أمر ثابت بالأدلة القطعية ولذا كان إنكاره كباقي أركان الإيمان إمعاناً وتعمقاً في الكفر والضلال قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٤). وحقيقة الملائكة أنهم من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به ولم يطلع عليه أحداً من خلقه إلا ما خص به رسله عليهم الصلاة والسلام .

خلقهم وصفتهم مع كثرتهم:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)^(٥)، وعن جابر بن عبد

(١) متفق عليه

(٢) (النازعات: ٥)

(٣) (غافر: ٧)

(٤) (النساء: ١٣٦)

(٥) رواه مسلم .

الله عن النبي ﷺ قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) (١)، وعن مسروق قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فقالت: (من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، فقلت ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٢)، ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (٣)، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض) (٤)، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥)، وعن زر بن حبیش قال أخبرنا عبد الله بن مسعود أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح (٦). وفي حديث المعراج قال فيه ﷺ: (فرّعت لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم) (٧)، وروى ابن جرير والطبراني عن عائشة قالت: قال نبي الله ﷺ: (ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليهم ملك ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (٨).

(١) أبو داود

(٢) (التكوير: ٢٣)

(٣) (النجم: ١٣)

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) (فاطر: ١)

(٦) متفق عليه

(٧) صحيح البخاري

(٨) (الصافات: ١٦٤ - ١٦٦)

أصناف الملائكة وعلاقتهم بالكون :

دلت الأحاديث على أن للملائكة رؤساء ثلاثة وهم : جبريل وميكائيل وإسرافيل^(١)، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد موتهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض ..)^(٢).

وقد أكثر الله تعالى في القرآن الكريم من القسم بالملائكة تعبيراً عن صفاتهم في حالة أعمالهم وعبوديتهم له تعالى بأساليب مختلفة. فتارة يكون القسم على توحيدِهِ وربوبيته، وتارة على أدلة توحيدِهِ كالبعث والجزاء قال تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾^(٣).

علاقة الملائكة بالله عز وجل :

علاقة المخلوق بخالقه وهي علاقة العبودية والطاعة الخاصة لا ينتسبون إليه تعالى إلا نسبة العبودية والخضوع والمسايرة لتنفيذ أوامره لا يتوقفون طرفه عين عن ذكره كما قال تعالى في شأنهم ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٤).

فهم من أعلم الخلق به وهم من أشد خلق الله له خشية إذ خشية الله تعالى

(١) شرح العقيدة الطحاوية مج ٢ ص ٤٠٨

(٢) رواه مسلم - عقود الإيمان مج ١ ص ١٥١

(٣) (الصَّافَّاتِ ١-٤).

(٤) (الأنبياء ١٩-٢٠).

بحسب معرفته والعلم به كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (١).

علاقة الملائكة بالبشر:

علاقة الملائكة بابن آدم من أعظم الأدلة على تمام قدرة الله عز وجل خاصة للمسلم وذلك أن الملائكة الذين خلقهم الله من نور وخصهم بصفات وقوى تضعف أمامها قوى الإنسان الذي خلقه الله من التراب ويعيده فيها عن أن يطيق مآلتهم ومخالطتهم ومع أنهم يلزمونه دائماً فقد حجبه الله عن العباد وحال بنيتهم وبين رؤيتهم والإحساس بهم فقد كان الرسول ﷺ مع ما خصه الله به من الكمال والقوى الحسية والمعنوية يلاقي شدة عظيمة من ملاقاته جبريل عليه السلام بالوحي ولذا كان كثيراً ما يأتيه بصفة رجل تأنساً له كما ورد في حديث جبريل المشهور (بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) قالت عائشة: «ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً». متفق عليه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (إن ينهاك عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند ثلاث الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه) رواه البزار .

فهم أولياء المسلم وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعمون له والمستغفرون له وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه وهم

(١) (فاطر: ٢٨)

الذين يزهّدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا فزع وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته اهـ (١).

أما عن عصمتهم فيجب الإيمان بعصمة الملائكة وتطهيرهم من المعاصي والكفر والشرك لما دلت عليه دلائل الشرع القطعية منها قوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢﴾.

ثانياً: الإيمان بالكتب

من أركان الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله وأنبيائه ومعناها التصديق الجازم والإقرار بأن الله أنزل كتباً على أنبيائه كما أخبر عنها بياناً للتوحيد بأنواعه الثلاثة وهي أي الكتب كلام الله وشرعه .

ويجب الإيمان بما تضمنته من التوحيد وغيره وهذه الكتب منزلة من عند الله بعضها يصدق بعضها، وأما ما نسب إليها مما يخالف ذلك فإنما هو من تحريف البشر لها، هذه الكتب منها ما سماه الله لنا فيجب الإيمان به بعينه على التفصيل كالتوراة والإنجيل والقرآن مثلاً كما سيأتي ومنها ما لم يعين فيجب الإيمان به إجمالاً ولا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب من غير دليل من الوحي كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

(١) إغاثة اللهفان ص ١٢٥-١٣٠.

(٢) (الأنبياء : ٢٧-٢٨).

(٣) (البقرة: ١٣٦).

ومن الكتب التي ذكرت في القرآن الكريم بأسمائها:

١- التوراة: أنزلت على الكليم موسى عليه السلام وهي أكثر الكتب ذكراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ (١).

٢- الإنجيل: أنزلت على عيسى روح الله عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ (٢).

٣- الزبور: أنزلت على الرسول داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ (٣).

٤- الصحف: أنزلت على إبراهيم وموسى قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (٤).

والإيمان بهذه الكتب مشروط بعدم تحريفها وتبديلها، كما أنها نزلت شرائع خاصة على رسل أرسلوا لأمم مخصوصة وأزمنة محدودة فما كان فيها من توحيد الله وخبره لا يتطرق إليه نسخ، وما كان فيها من أحكام وشرائع فقد نسخ بشريعة القرآن مع عدم التكذيب لما لا نعلم حقيقته ولا نصدقه بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٥).

(١) (المائدة: ٤٤)

(٢) (المائدة: ٤٦)

(٣) (الإسراء: ٥٥)

(٤) (الاعلى ١٧-١٩).

(٥) (العنكبوت: ٤٦)

الإيمان بالقرآن الكريم^(١):

تعريف القرآن الكريم عند الفقهاء: هو الكلام المعجز المنزل على محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته، فالخارج عن هذا التعريف لا يسمى قرآناً كالحديث النبوي والكتب الأخرى والمخالف لخط المصاحف العثمانية والقراءات الشاذة والأحادية وخرج الحديث القدسي إذا تواتر سنده كذلك .

فهذا القرآن السابق في التعريف يجب الإيمان به إيماناً مفصلاً فنؤمن بأنه كلام الله الذي ختم به كتبه كله حق ونور وهدى ورحمة للعالمين وهو شرع الله الخالد ما دامت الدنيا قائمة لان الله تعالى تكفل بحفظه قال تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٢)، فمن أنكر حرفاً منه غير جاهل به كفر ومن زاد فيه حرفاً عالماً بذلك كفر، والقرآن مصدق للكتب السابقة ومهيمن عليها^(٣) وناسخ لشرائعها باستثناء التوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾^(٤).

وعقيدة أهل السنة في القرآن الكريم كما يلي: وقد أجمعوا على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم الله به بلفظه ومعناه حقيقة بلا كيف وأنزله على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وسمعه محمد ﷺ من جبريل وهو المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المتلو باللسنة قرآن واحد ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن آخر غير مخلوق بل هو صفة من صفات الله عز وجل ومن اعتقد غير هذا فهو عند أهل السنة ضال مبتدع مخالف للمذهب الصحيح، وعقيدتهم أيضاً في اللفظ بالقرآن والصوت والحروف فهناك فرق عندهم بين المقروء

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢م ص ٤٢٥

(٢) (فصلت: ٤٢)

(٣) عقود الإيمان ص ١٧٤

(٤) (المائدة: ٤٨)

والمتلو والمكتوب وبين القراءة والتلاوة والكتابة فالمقروء والمتلو والمكتوب غير مخلوق بل هو كلام الله تعالى القرآن الكريم وأما القراءة والتلاوة والكتابة فيه من أفعال المخلوقين وهي مخلوقة لله تعالى كما قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).
قال ابن القيم:

وتلاوة القرآن أفعال لنا وكذا الكتابة فنهى خط بنان
لكنما المتلو والمكتوب وال محفوظ قول الواحد المنان

قال تقي الدين: فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ كما قال ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وقال ﷺ: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) رواه البخاري، فسبب نزاع المتأخرين في الحروف الموجودة في كلام الآدميين أنهم لم يفرقوا بين الكلام الذي يتكلم الله به فيسمع منه وبين ما يسمع من المبلغ عنه وهو الرسول ﷺ (٢).

ثالثاً: الإيمان بالرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

تعريف الرسل: الرسل زمرة من عباد الله اصطفاهم الله بوحيه واختارهم من بين خلقه وخصهم بفضائل لم يلحقهم فيها أحد وهم أكمل الخلق علماً وعملاً وهم أعلم الخلق بالله وأشدهم خشية له .

ولا تنال درجة النبوة بعلم ولا عمل ولا برياضة نفس ولا بغير ذلك فلا سبيل إلى نيل مناصبهم على الإطلاق إلا باجتباء واختيار الله وذلك محال بعد خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٣)، وقوله ﷺ (إلا أنه لا نبي بعدي ولا رسول) (٤).

(١) (الصفات: ٩٦)

(٢) أضواء البيان ٣م ص ٢٠٧

(٣) (الأحزاب: ٤٠)

(٤) جامع الترمذي ج ٤ ص ٤٩٩

وقال تعالى في جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٢)، فيجب الإيمان بالرسول؛ لأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان وأساس من التوحيد ويجب الإيمان بأنهم بلغوا رسالاته لأمرهم كما أمرهم الله تعالى بذلك وبأنهم صادقون في كل ما يبلغونه عن الله ومعصومون من التحريف والتبديل في أقوالهم وأفعالهم ومعصومون من كبائر الذنوب وصغائر الخسة من قبل الله تعالى، ومعصومون باختيارهم وكسبهم أيضاً.

ولا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية فلا تصرف لهم في الكون ولا يملكون النفع ولا الضر لأنفسهم ولا لغيرهم فغيرهم من الخلق من باب أولى، والرسول لا تأثير لهم في إرادة الله تعالى ولا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله فضلاً عن غيرهم ممن هم دونهم من البشر قال تعالى آمراً أفضل الرسل على الإطلاق محمداً ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

والرسول كما أنهم من الملائكة فهم أيضاً من البشر ومن جنس الذكور فلم يرسل الله امرأة قط (٤).

ومهمة الرسل البشارة بالفوز لمن أطاع الله والنذارة بالخزي لمن كفر بالله وهم حجة الله على خلقه لئلا يبقى عذر لمعتذر كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ

(١) (الحج: ٧٥)

(٢) (الأنعام: ١٢٤)

(٣) (الأعراف: ١٨٨)

(٤) (قعود الإيمان ص ١٦٥)

وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ﴿٢﴾.

الفرق بين الرسول والنبى:

هو أن الرسول هو الذي أرسل بشرع وأمر بتبليغه عن طريق جبريل بالمعانية ومحاورته إياه شفاها، وأما النبى فهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً ولم يؤمر بالتبليغ، فبينهما عموم وخصوص، فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولاً .

وأجمع أهل السنة سلفاً وخلفاً على الفرق السابق بين الرسول والنبى وخالف المعتزلة، وقالوا لا فرق بين الرسول والنبى فكل نبى رسول وكل رسول نبى وأدلتهم على ذلك قوية، أما أدلة القول الأول فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ ﴿٣﴾.

قالوا إن الواو فرقت بينهما بالعطف والعطف يقتضى المغايرة واستدلوا بحديث البراء بن عازب وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: (آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت) متفق عليه .

وحديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وعشرون ألفاً . قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جمماً غفيراً) رواه ابن حبان وأحمد وله شواهد .

فلا بد من الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وقد صرح القرآن الكريم بأن من كذب برسالة واحد منهم كان ذلك كفراً بالجميع قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ

(١) (النساء: ١٦٥)

(٢) (الأنعام: ٤٨)

(٣) (الحج: ٥٢)

قَوْمَ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤﴾، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ﴿٥﴾، وكل هذه الأمم لم تكذب إلا رسولها الذي أرسل إليها لكن بتكذيبها لرسولها كذبت غيره من الرسل لأن دعوة الرسل واحدة بتوحيد الله وعبادته وحده بل إن الكفر ببعض الرسل هو الكفر الحق الذي توعد الله أهله بالعذاب المهين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٦﴾، وقال تعالى في المؤمنين الذين آمنوا بجميع الرسل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾.

الإيمان بعيسى عليه السلام:

ويجب الإيمان بعيسى بن مريم عليه السلام إيماناً أخص . فيجب الإيمان بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح من الله خلقه من غير أب لقوله سبحانه وتعالى (كن) فكان كما قال تعالى في آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨﴾، وقال الله تعالى عن

(١) (الشعراء: ١٠٥)

(٢) (الشعراء: ١٢٣)

(٣) (الشعراء: ١٤١)

(٤) (الشعراء: ١٦٠)

(٥) (الفرقان: ٣٧)

(٦) (النساء: ١٥٠-١٥١).

(٧) (النساء: ١٥٢)

(٨) (آل عمران: ٥٩)

عيسى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (من شهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) رواه البخاري ومسلم .

هذا الحديث من أجمل الأحاديث المشتملة على العقائد وكذلك يجب الإيمان بأن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ويقتل الدجال ويحكم بشريعة النبي ﷺ دلت على ذلك الأدلة المتواترة من السنة النبوية .

والرسل دعوتهم واحدة هي توحيد الله تعالى وشرائعهم مختلفة الفروع دون الأصول قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢)، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (٣).

وقد مثل النبي ﷺ ذلك بأبلغ مثال كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات. أمهاتهم شتى، ودينهم واحد). رواه البخاري ومسلم، وأفضل الرسل خمسة وهم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وهو أفضلهم على الإطلاق ويليه في الفضل إبراهيم خليل الرحمن ثم موسى كلیم الله ثم عيسى روح الله ثم نوح عليهم الصلاة والسلام .

الإيمان بنبينا محمد ﷺ :

فإذا كان الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام ركناً من أركان الإيمان. فالإيمان

(١) (الرُخْف: ٥٩)

(٢) (النحل: ٣٦)

(٣) (المائدة: ٤٨)

بإمامهم وخاتمهم محمد ﷺ هو أساس ذلك الركن. فالإيمان به يجب أن يكون أكمل وأشمل^(١)؛ لأن الإيمان به هو مضمون عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وجزأها الذي لا ينفك عنها ولا شك أن لا إله إلا الله لا تنفع أحداً إلا إذا ضم إليها محمد رسول الله ﷺ والعقيدة الواحدة التي لا تتجزأ؛ لأنها العروة الوثقى التي لا انفصام لها قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾^(٢).

ويجب الإيمان بأن كل ما يصدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير حق، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(٣).
ويجب أيضاً الإيمان أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده البتة قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾^(٤)، أي أنهم ختموا به ﷺ.

الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر

أولاً: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان؛ لأنه غيب بحث والإيمان بالغيب هو أساس الإيمان وحقيقته والإيمان الجازم بكل ما جاء من الخبر الثابت عن الله ورسوله ﷺ من القيامة الصغرى والقيامة الكبرى وما يكون فيهما. فأما الصغرى فهي

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢م ص ٤٢٤

(٢) (الحجرات: ١٥)

(٣) (النجم: ٣-٤).

(٤) (الاحزاب: ٤٠)

موت الإنسان وما يكون في البرزخ إلى البعث، وأما القيامة الكبرى فتبدأ من قيام الناس من قبورهم وما هو كائن إلى نهاية مصير الخلائق واستقرارهم في الجنة أو النار، وكثيراً ما يذكر الله سبحانه وتعالى هاتين القيامتين في السورة الواحدة من القرآن كسورة الواقعة وغيرها، وقد قرن الله تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في اثنين وعشرين موضعاً من كتاب الله عز وجل وكثر اقترانهما في السنة أيضاً .

فمن السنة قوله ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)^(١). وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقسم بربه جل وعلا على وقوع اليوم الآخر في ثلاث آيات من القرآن الكريم وهي قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾^(٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾^(٣)، وقوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾^(٤).

والإيمان باليوم الآخر على درجتين: الأولى: أن يؤمن العبد به إجمالاً وذلك هو الحد الأدنى لتحصيل الإيمان به ولا يعدو أن يكون أصحاب هذا النوع من الإيمان مقلدين في إيمانهم والمقلد في إيمانه على خطر، الدرجة الثانية: - وبهذه الدرجة يتحقق الإيمان - وهي أن يؤمن العبد بكل ما جاءت به نصوص الوحي الثابتة من كتاب وسنة في اليوم الآخر تفصيلاً^(٥).

(١) متفق عليه .

(٢) (يونس: ٥٣)

(٣) (سبا: ٣)

(٤) (التغابن: ٧)

(٥) عقود الإيمان المجلد الأول ص ٢٢٢

مقدمات اليوم الآخر:

أ - فتنة القبر: تواترت أحاديث فتنة القبر عن النبي ﷺ من رواية جمع من الصحابة والمراد فتنة القبر الامتحان والاختبار للميت بالسؤال في القبر عن ربه ونبيه ودينه وهو عام للمكلفين سوى الأنبياء فاختلف في سؤالهم كما اختلف في غير المكلفين كالمجانين والصبيان ودلت النصوص على أن الميت ترد إليه روحه أول وهلة فتأتيه الملائكة تسأله فيثبت الله من أراد برحمته من المؤمنين والدليل على ذلك قوله ﷺ: (ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل - أو قريباً من - فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن، فيقول: هو محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال: نعم صالحاً، فقد علمنا إن كنت لمؤمناً، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت)^(١).

ب - أشراط الساعة: أي أماراتها وعلاماتها الساعة هنا. يوم القيامة، وهذه الأمارات للساعة إما على قربها كالذجال ونزول عيسى ابن مريم وأجوج ومأجوج والخسف، وإما على حصولها والتحقق منها مثل طلوع الشمس من مغربها والدابة والنار التي تخرج وتمحشر الناس، ويجب الإيمان بكل هذه العلامات وأنها ستأتي لا محالة. كما يجب الإيمان بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ولا يعلم موعدها إلا الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢)، وهذه العلامات صغرى وكبرى، فالصغرى كما ورد في حديث أنس أن النبي ﷺ قال: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل

(١) متفق عليه البخاري ١٨٢، كتاب الرضوء، مسلم ٩٠٥، كتاب الكسوف.

(٢) (الأعراف: ١٨٧)

الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد (متفق عليه، وحديث :
 (بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه فيمدهما) متفق عليه، أما العلامات
 الكبرى فذكرت في حديث حذيفة بن أسيد قال : اطلع علينا النبي ﷺ ونحن
 نتذاكر فقال : (ما تذاكرون) قالوا : نذكر الساعة قال : (إنها لن تقوم حتى ترون
 قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول
 عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
 وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)
 رواه مسلم .

ودليل يأجوج ومأجوج قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ
 مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (١).

وورد أن طلوع الشمس من مغربها هو الأول من قيل الدابة وقيل أنهما في يوم
 واحد وورد أن أيهما بدء به، فالثانية على إثرها ثم البقية فالعلامات إذا بدئ
 بأحدها كأنما هي نظام قطع سلكه فتتابع من شدة سرعة إلحاق بعضها ببعض والعلم
 عند الله تعالى .

ج - بداية اليوم الآخر وفيه عشر مسائل : الإيمان بكل ما ورد في هذا اليوم
 من الأحوال والأحوال من ما هو مذكور في عدد من السور كالحاقة والقارعة
 وغيرهما وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من
 سره إن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا
 السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ رواه الترمذي وأحمد .

أولاً : النفخ في الصور : يجب الإيمان بالنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى
 أجسادها فتبعث من في القبور وقد ذكره الله تعالى في أحد عشر موضعاً من القرآن

(١) (الأنبياء : ٩٦)

الكريم، وقد دلت الأحاديث على أن الصور قرن وكل الله به إسرافيل ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ فيه ونقل عليه الإجماع وقد قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: (قرن ينفخ فيه) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه وصححه الحاكم وابن حبان .

وحديث: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ) . رواه الترمذي وأحمد حديث حسن، والصور كهيئة البوق قاله مجاهد وقال ابن عباس الناقور: الصور، الراجفة: النفخة الأولى، الرادفة: النفخة الثانية، والنفخ في الصور نفختان كما هو صريح في الكتاب والسنة: فالنفخة الأولى لفناء الأحياء كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١)، والنفخة الثانية لبعث الخلائق من قبورهم كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٢).

وثبت في الحديث أيضاً أنهما نفختان كما في حديث عبد الله بن عمر وفيه (.. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها ورفع ليتها قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبلة قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أو ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل تنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) رواه مسلم .

وعن أبي صالح سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: (بين النفختين أربعون) قال يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال أربعون سنة؟ قال: أبيت . قال أربعون شهراً؟ قال: أبيت . (ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجز ذنبه فيه يركب الخلق) متفق عليه .

(١) (الرَّحْمَنُ: ٢٦)

(٢) (الزُّمَرُ: ٦٨)

ثانياً: الحشر: فيجب الإيمان بأن الناس يحشرون من قبورهم فيساقون ويجمعون في صعيد واحد للقضاء بينهم، والحشر لغة: الجمع والحشد ومنه قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١)، ويحشر الناس حفاة عراة مشاة للحساب. قال الطبري الحشر أربعة أنواع: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة، فالذي في الدنيا الأول منهما مذكور في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾^(٢)، والثاني: الحشر المذكور في أشراف الساعة في قوله ﷺ: (أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) رواه البخاري، ومنه حشر الناس أحياء إلى الشام، الحشر الثالث: حشر الناس من قبورهم بعد البعث جميعاً إلى الموقف. الرابع: حشر الناس إلى الجنة أو النار ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٣) فأما النوع الأول والثاني فلا يعد حشراً.

والدليل على الحشر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَسِیرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٥).

ثالثاً: الموقف: يجب الإيمان بأن الله يجمع عباده يوم القيامة في صعيد واحد يقومون فيه قياماً طويلاً، تتخلله أهوال عظيمة حتى يأتي الوقت الذي قدره الله سبحانه لفصل القضاء بين خلقه لما روي عن النبي ﷺ أن المقداد بن الأسود سمع

(١) (النمل: ١٧)

(٢) (الحشر: ٢)

(٣) (الشورى: ٧)

(٤) (الكهف: ٤٧)

(٥) (الأنعام: ٣٨)

النبي ﷺ يقول: (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل . قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حنجرته ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً)^(١).

قال وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه، رواه مسلم، ويستثنى الأنبياء والشهداء وما شاء الله فأشد الناس في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم وإن هذا لمن ما يبهز العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمر الآخرة وأن ليس للعقل فيها مجال ولا يعترض عليها بعقل، ولا قياس ولا عادة وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب اهـ^(٢).

رابعاً: العرض والحساب: ويجب الإيمان بعرض الأعمال يوم القيامة والمحاسبة عليها فيعرض الناس على ربهم عرضات عدة كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة: فعند تطاير الصحف في الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد، قال تعالى: ﴿ وَعَرَضُوا عَلَيَّ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^(٣). والمراد بالحساب عرض الأعمال والتوبيخ عليها ويراد به موازنة الحسنات بالسيئات^(٤).

(١) صحيح مسلم ٢٨٦٤ كتاب الجنة .

(٢) مروى عن أبي جمرة: فتح الباري المجلد ١١ ص ٤٠٢

(٣) (الكهف: ٤٨-٤٩) .

(٤) عقود الإيمان ص ٢٥٨

والكفار يحاسبون بالاعتبار الأول، وكيفية حساب المؤمنين بالاعتبار الثاني فمن زادت حسناته على سيئاته تجاوز الله عنه فلم يناقشه الحساب ويأخذ كتابه بيمينه ويدخل الجنة بإذن الله، وأما من زادت سيئاته على حسناته فذلك الذي يناقش الحساب، ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ويعذب كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾^(١). وحديث: (.. ليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب) متفق عليه^(٢)، وحديث النجوى: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق ف﴿يَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣) متفق عليه^(٤)، ويأخذ العباد صحائف أعمالهم ويقرؤونها وهي تحوي ما عمله كل واحد في حياته من خير أو شر قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(٥) ويكون في هذا الحساب شهادة من شهدهم الله على عباده، فتشهد الأرض بما عمل على ظهرها وتشهد الألسنة والأيدي والأرجل والجلود كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾^(٦)، أي الأرض، وقوله

(١) (الانشقاق: ٧-١٢).

(٢) صحيح البخاري ٦١٧٢، كتاب الرقاق، صحيح مسلم ٢٨٧٦ كتاب الجنة وصفة نعيمها

(٣) (هود: ١٨)

(٤) البخاري ٢٣٠٩ كتاب المظالم، مسلم ٢٧٦٨، كتاب التوبة

(٥) (الإسراء: ١٣)

(٦) (الزلزلة: ٤)

تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، ويستثنى من هذا الحساب سبعون ألفاً، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، كما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: (عرضت علي الأمم فإذا واد عظيم قال جبريل: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب) متفق عليه، ومنهم عكاشة ابن محصن كما ورد في حديث آخر وصفاتهم في الحديث: (هم الذين لا يكتبون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) متفق عليه (٣).

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلم كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج البطاقة فيها: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال إنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤).

خامساً: الميزان ووزن الأعمال أو صاحبها: الميزان صفته أن له لساناً وكفتان تثقل إحداهما فتخف الأخرى فيجب الإيمان بأنه ميزان حقيقي توزن به أعمال

(١) (النور: ٢٤)

(٢) (فصلت: ٢٠٠)

(٣) البخاري ٦١٧٥ كتاب الرقائق، مسلم ٢٢٠ كتاب الإيمان

(٤) جامع الترمذي ٢٦٣٩ كتاب الإيمان، سنن ابن ماجه ٤٣٥٥ أبواب الزهد

العباد إظهاراً لكمال عدل الله ودليلاً على إحاطة علمه بكل شيء فمن ثقلت كفة حسناته سعد ونجى، ومن خفت خاب وخسر خسراً عظيماً .

والصحيح أنه ميزان واحد، وإنما ورد بلفظ الجمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة ومع أنه لم يصح عن النبي ﷺ في صفة الميزان إلا أن أهل السنة أجمعوا على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن عليه يوم القيامة، وأن له لساناً وكفتين ويميل بالأعمال^(١).

واختلف أهل السنة في الذي يوضع في الميزان يوم القيامة على ثلاثة أقوال^(٢):

أ - أن الموزون هي الأعمال فتكون أجساماً حسنة أو سيئة بحسب العمل وهو الصحيح للحديث أن رسول الله ﷺ قال: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق) رواه الترمذي وأبو داود .

ب - أن الموزون صحف الأعمال التي كتب فيها واستدلوا بحديث البطاقة .

ج - أن الذي يوزن هو صاحب العمل نفسه واستدلوا بحديث قال ﷺ: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) متفق عليه، قال قرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(٣)،^(٤).

ويمكن الجمع بين الآثار فتارة توزن الأعمال وتارة يوزن محلها وتارة يوزن فاعلها فيكون كل ذلك صحيحاً قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره .

سادساً: الصراط وورود الناس عليه: وهو الجسر المنصوب على متن جهنم لعبور الناس عليه ودلت أحاديث على أن المرور على الصراط خاص بمن كان يعبد

(١) فتح الباري م ١٣ / ص ٥٤٨

(٢) عقود الإيمان ص ٢٦١

(٣) (الكهف: ١٠٥)

(٤) البخاري ٤٤٥٢ كتاب التفسير، مسلم ٢٧٨٥ كتاب صفات المنافقين .

الله من بر وفاجر، أما من كان يعبد غير الله فإنهم يساقون إلى النار، فالمؤمنون يمشون على الصراط متفاوتون بحسب أعمالهم كالبرق وكالطير وكالريح، وحتى يحبو الرجل حبواً وسحباً، والمرور على الصراط مذکور في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (١).

وورود الناس في الآية المحتم لا يستلزم دخولها بدليل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (٢)، وورد في حديث طويل (ثم يؤتى بالجرس فيجعل بين ظهري جهنم). قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: (مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيقة تكون بنجد يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف والبرق والريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً ..) متفق عليه (٣).

المارون على الصراط ثلاثة أصناف: ناخ بلا خدوش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو على حسب الأعمال (٤).

سابعاً: الجنة والنار: فيجب على العبد الإيمان بالجنة والنار وبأنهما موجودتان مخلوقتان خلقهما الله وأعدهما لمجازاة عباده، ويجب الإيمان بأنهما باقيتان لا تفنيان فقال عن الجنة: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٥)، وقال تعالى عن النار: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٦).

(١) (مريم: ٧١)

(٢) (مريم: ٧٢)

(٣) البخاري ٧٠٠١ كتاب التوحيد، مسلم ١٨٣ كتاب الإيمان

(٤) عقود الإيمان ص ٢٧٠

(٥) (الحديد: ٢١)

(٦) (البقرة: ٢٤)

ويجب الإيمان بما ورد من تنعم أهل الجنة بالماكل والمشرب والمنكح وطهارتهم من البول والغائط والحيض وأبدية الحياة وبقاء شبابهم لا يهرمون أبداً، وورد أن في الجنة من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرأ إن شئت: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٢).
 وقوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٍ عِينٍ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

ثامناً: رؤية الله تعالى: أجمع أهل السنة على الإيمان برؤية الله تعالى بالأبصار في عرصات يوم القيامة وفي الجنة للمؤمنين لأنها على مراتب النعيم المقيم في الجنة وإمكان الرؤية في الدنيا إلا أنها لم تقع بالأدلة الثابتة^(٤)، وكذلك العقل لا يحيل شيئاً من ذلك والأدلة على رؤية الله تعالى كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٦)، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم روي ذلك مرفوعاً عن النبي ﷺ وفي الحديث: (إنكم سترون ربكم عياناً) رواه البخاري، وحديث كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة

(١) (السجدة: ١٧)

(٢) (محمد: ١٥)

(٣) (الواقعة ٢٠-٢٤).

(٤) آداب البحث والمناظر ص ١٢٢-١٢٣

(٥) (القيامة ٢٢-٢٣).

(٦) (يونس: ٢٦)

البدر فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) رواه البخاري ومسلم^(١)، وحديث أيضاً: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ أم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) رواه مسلم، وهذه الأدلة المتواترة عن عشرين صحابياً أجمع عليها الصحابة ومن بعدهم .

تاسعاً: حوض النبي ﷺ والكوثر: يجب الإيمان بالحوض وقد أجمع على الإقرار به السلف والخلف من أهل السنة وأنه حقيقي لما تواتر على ذلك من النصوص، والحوض لغة: مجمع الماء وجمعه حياض وأحواض والكوثر: فوعل من الكثرة وهو أي الكوثر المذكور في القرآن مادة الحوض وهو النهر الذي يصب فيه وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث أنس قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ﷺ قال: (أنزلت علي أنفاً سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾). ثم قال أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا الله ورسوله أعلم . قال: إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم) .

صفة الحوض: قال رسول الله ﷺ: (حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً) متفق عليه . وفي حديث آخر (إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم) متفق عليهم، وقوله ﷺ (إني فرطكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي

(١) البخاري ٦٩٩٧ كتاب التوحيد ، مسلم ٦٢٣ كتاب المساجد

الآن) متفق عليه^(١).

عاشراً: شفاععة النبي ﷺ : ومن عقيدة أهل السنة الإيمان بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من شفاعته ﷺ وقد فسر السلف الصالح من الصحابة والتابعين قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٢) بأن المقام المحمود شفاعته ﷺ الأولى في فصل القضاء وإراحة الناس من هول الموقف، وحكي عن ابن عبد البر الإجماع على ذلك^(٣).

وهذه الشفاععة هي أعظم شفاععة له ﷺ ؛ لأنها المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، وهذه الشفاععة أيضاً هي التي يتراجع عنها الرسل بعد موج الناس ولجوئهم لجميع الرسل كما حدث بذلك المصطفى ﷺ : (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم ويقولون له: اشفع لذريرتك، فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم: فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كلیم الله فيؤتى موسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بعميسى فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها، فأنطلق فاستأذن على ربي، فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله ثم أخر له ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: ربي أمتي أمتي) متفق عليه، وله ﷺ خمس شفاعات .

وقال القاضي عياض: إن شفاعات النبي ﷺ بلغت تسع شفاعات: .

١- الأولى منها ما سبق ذكرها وهي المقام المحمود .

(١) البخاري ٦٢١٨ كتاب الرقائق، مسلم ٢٢٩٠ الفضائل

(٢) (الإسراء: ٧٩)

(٣) عقود الإيمان ص ٢٧٦

- ٢- شفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب .
- ٣- شفاعته ﷺ في إدخال قوم الجنة وقد استحقوا العذاب أن لا يعذبوا .
- ٤- شفاعته ﷺ في إخراج من أدخل النار من الموحدين فيدخلون الجنة .
- ٥- شفاعته ﷺ في رفع درجات قوم في الجنة .
- ٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكفار يعني أبا طالب لأنه أخف أهل النار عذاباً بسبب شفاعته النبي ﷺ له، لقوله ﷺ : (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه) رواه مسلم .
- ٧- وزاد القرطبي شفاعته ﷺ في أنه أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس كما في صحيح مسلم .
- ٨- وزاد الحافظ شفاعته ﷺ في من استوت حسناته وسيئاته كأصحاب الأعراف .
- ٩- شفاعته ﷺ في من قال : لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط، كما ورد في الصحيحين .

ثانياً: الإيمان بالقضاء والقدر

القدر: اسم لما صدر مقدرأ عن فعل القادر وهو من التقدير يقال: قدرت الشيء بالتشديد والتخفيف ويأتي مقروناً بالقضاء ويأتي غير مقرون به والمقرون بالقضاء هو ركن الإيمان السادس وأصل القضاء الفصل والقطع والإتمام للشيء والفراغ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (١)، ويأتي بمعنى الشرع والأمر والوصية كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

(١) (فصلت: ١٢)

إِحْسَانًا ﴿١﴾، والقضاء المقرون بالقدر هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله فهما كالبنيان يشد بعضه بعضاً فمن فصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه والإيمان به من أركان الإيمان الستة وأدلة ثبوت القدر من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على إثباته ووجوب الإيمان به وترك المجادلة والخوض فيه لأنه سر الله لا يدرك بجдал ولا يشفي منه مقال والأدلة من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿٣﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿٤﴾، ومن السنة حديث جبريل المشهور (وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره) متفق عليه، ويقول ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء) رواه مسلم .

وحديث علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة) رواه البخاري ومسلم، وفي الحديث الآخر: (.. إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار في ما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) رواه البخاري ومسلم (وإنما الأعمال بخواتيمها) رواه البخاري .

والإيمان بالقدر على درجتين وكل درجة تتضمن شيئين:

- الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي

(١) (الإسراء: ٢٣)

(٢) (القمر: ٤٩)

(٣) (الفرقان: ٢)

(٤) (الحجر: ٢١)

هو موصوف به أزلاً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق (فأول ما خلق الله القلم قال : اكتب قال : ما أكتب؟ قال : لاكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف) . رواه أبو داود والترمذي وأحمد . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

- الدرجة الثانية : فهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا والله خالقه وخالق غيره ولا رب سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته ومعصية رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) .

عقيدة السلف في الإيمان بالقدر تنقسم إلى أربعة مسائل :

١- الإيمان بأن الله سبحانه علم بعلمه الأزلي جميع أحوال العباد من الطاعات والمعاصي والآجال إلى غير ذلك .

٢- الإيمان بأنه تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق من كل ما هو كائن إلى يوم القيامة .

٣- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

٤- الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعباد فاعلون حقيقة ولهم قدرة وإرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وأعمالهم .

(١) (الحج: ٧٠)

(٢) (النور: ٦٣)

الفرق بين القضاء والمقضي والقدر والمقدور:

أما القضاء والقدر فهما ركن الإيمان السادس وقد سبق تعريفهما .

والمقضي: هو ما قدره الله وقضى به على عباده فالقضاء والقدر الذي هو علم الله ومشيئته وكلامه غير مخلوق، والمقضي المقدور من المقدرات كالمصائب والآجال والأرزاق والأعمال كلها مخلوق لله تعالى، والصبر على المصائب واجب والرضا بها مستحب وليس لأحد أن يسخط ما أمر الله به قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١)، ويجب بغض الكفر والفسق والمعاصي كما يجب بغض أصحابها قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (٢).

خفاء القدر ومنع الخوض فيه؛ لأن سبيل معرفة القدر التوقيف ولا دخل للعقل والقياس فيه ومن عدل عن ذلك ضل وتاه؛ لأن القدر سر وغيب اختص الله به وحجبه عن خلقه لم يطلع عليه نبياً مرسلأً ولا ملكاً مقرباً وقد اشتد غضب النبي ﷺ لما سمع من تكلم فيه فعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأن ما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: (أبهذا أمرتم أو لهذا خلقتم تضربون القرآن بعضه ببعض بهذا هلكت الأمم قبلكم) رواه الترمذي وابن ماجه، وسئل علي رضي الله عنه عن القدر فقال طريق مظلم، فلا تسلكه وبحر عميق فلا تلجه وسر الله فلا تكلفه، رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة .

وقد يخفى القدر على الناس في الآجال والأرزاق ونحوها فيظنون أن ما قدره الله وكتبه يزيد أو ينقص وذلك خلاف حديث أم حبيبة زوج النبي ﷺ قال: (اللهم

(١) (محمد: ٢٨)

(٢) (الحجرات: ٧)

أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي سفيان وبأخي معاوية فقال: قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيء قبل حله أو يؤخر شيء عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل) رواه مسلم .

والقدر لا يجوز الاحتجاج به على الله فالإيمان به هدى والاحتجاج به على الله ضلال وغي وهو سبيل المشركين قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١).

وكل من احتج بالقدر على الله تعالى فإمامه في ذلك إبليس اللعين قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢)، فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابهاً للمشركين ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهاً للمجوسيين ومن آمن بهذا وذاك فإن أحسن حمد الله تعالى وإن أساء استغفر وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره فهو من المؤمنين، فإن آدم لما أذنب تاب فاجتبه الله وهداه وإبليس أصر واستكبر واحتج بالقدر فمن تاب من الذنب كان آدمياً ومن أصر عليه واحتج بالقدر كان إبليسياً .

قال علماء الملة: شر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره ويستند إلى القدر في الذنوب والمعائب ولا يطمئن إليه في المصائب فهو جبري عند المعصية قدرية عند الطاعة فلو كان القدر حجة على الذنب لكان حجة لإبليس وفرعون وأبي لهب ومن احتج بالقدر على المعاصي فحجته داحضة عند ربه، ومن اعتذر به عذره غير مقبول عند ربه .

(١) (النحل: ٣٥)

(٢) (الأعراف: ١٦)

وللعبد في المقدر حالان: حال قبل القدر وحال بعده، فعليه قبل المقدر أن يستعين بالله تعالى ويتوكل عليه ويدعوه. فإذا قدر المقدر بغير فعله - فعليه أن يصبر عليه ويرضى به، وإذا كان بفعله وهو نعمة حمد الله تعالى على ذلك - وإن كان ذنباً استغفر وتاب إلى الله سبحانه وتعالى.

وله في الأمور به حالان أيضاً: حال قبل الفعل هو العزم على الامتثال والاستعانة بالله على ذلك وحال بعد الفعل وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الخير قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ﴾ (١) فأمره تعالى أن يصبر على المصائب المقدرة ويستغفر من الذنب.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح علم الشيطان) رواه مسلم.

وعيد من كذب بالقدر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢) رواه مسلم، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون في أمتي خسف ومسخ أو قذف في أهل القدر)، وفي لفظ (وذلك في المكذبين بالقدر) رواه مسلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيد من وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيداً (٣).

(١) (غافر: ٥٥)

(٢) (القمر: ٤٨ - ٤٩)

(٣) عقود الإيمان ص ٢٩٤

وهذا خلاصة القول في مسألة القدر عند الشيخ محمد الأمين - رحمه الله - الذي بين فيه معتقده وهو مذهب أهل السنة والجماعة الذي هو وسط بين الجبرية والقدرية ورد في ثنايا كتابه أضواء البيان في مواضع كثيرة على هاتين الفرقتين الضاليتين في باب القضاء والقدر^(١).

الخاتمة

بما أن البحث يتعلق بالإيمان فتكون الخاتمة عن حقيقته وكنهه . فالإيمان أن يعقد العبد قلبه على الإيمان بالله تعالى على ما رسمته الآيات القرآنية وفصلته الأحاديث النبوية، فالإيمان الحق هو الثابت الراسخ أمام الشبهات كالجبل الشامخ ويشمل الإيمان بذات الله تعالى المقدسة وصفاته المنزلة وأسمائه الحسنى الإيمان بالإله الواحد الأحد المنفرد بالالوهية والربوبية على خلقه المتصف بكل كمال وجلال المنزه عن كل نقص الإله الذي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، (له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) والإيمان بمحمد ﷺ عبد الله ورسوله الذي أرسله بالهدى ودين الحق هو الإقرار والتصديق برسالاته وأمانته واتباع سنته والتفاني في طاعته فهو الذي ﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

وما الإيمان بالملائكة إلا فرع عن الإيمان بالله تعالى إذ هم جنده الموكلون بتدبير كونه وملكوته .

وكذا الإيمان بالكتب فرع عن الإيمان بالله تعالى؛ لأنه كلامه وشرعه وأمره ونهيه . والإيمان بالرسول فرع عن الإيمان بالله تعالى؛ لأنهم سفراؤه إلى خلقه وأمناؤه على وحيه .

والإيمان باليوم الآخر فرع عن الإيمان بالله تعالى؛ لأنه الموعد الذي ضربه الله

(١) السلفية وأعلامها في موريتانيا . ص ٣٦٤

لفصل القضاء بين خلقه واقتضى عدله وحكمته وجود هذا اليوم لجزاء أوليائه والتنكيل بأعدائه .

والإيمان بالقضاء والقدر فرع أيضاً عن الإيمان بالله عز وجل لأنهما فعله وتصريفه في كونه ومخلوقاته ومن الأدلة الدالة على إحاطة علمه وكمال قدرته ونفوذ مشيئته وإرادته، فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان وأتوب إلى الله منه ومن جميع الذنوب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

قائمة المصادر والمراجع

- ١ . أضواء البيان: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .
- ٢ . عقود الجمان من كتاب أضواء البيان: جمع عبد الله بابا الشنقيطي .
- ٣ . عقود الإيمان في توحيد الرب الجليل: محمد سالم أحمد امود الجكني .
- ٤ . السلفية وأعلامها في موريتانيا: الطيب بن عمر بن الحسين .
- ٥ . فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني .
- ٦ . إغاثة اللفهان من مكائد الشيطان: ابن قيم الجوزية .
- ٧ . الرحلة إلى بيت الله الحرام: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار .
- ٨ . شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الدمشقي .
- ٩ . آداب البحث والمناظرة: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .

- ١٠ . إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب : للشيخ آب بن أخطور .
- ١١ . شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد : ابن قدامة المقدسي .
- ١٢ . أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : أبو القاسم هبة الله اللالكائي .
- ١٣ . الإبانة عن أصول الديانة : أبو الحسن الأشعري .
- ١٤ . شرح الأربعين النووية : لابن دقيق العيد .

* * *